

مقدمة

يعد التراث اللغوي العربي مادة غزيرة وثرية، وضعت فيه آلاف التصانيف منذ أن أصبحت العربية موضوع درس وتقنين، إلى عصرنا هذا؛ حيث شغلت الدراسات اللغوية القديمة مكانة مركزية في الثقافة العربية الإسلامية، وهذا يبعث على الإعجاب والاعتزاز بهذا الموروث؛ لأنه يدل على مجهود وعمل فكري بالغ الأهمية، شكل بدوره رسالة لسانية قائمة بذاتها.

ولأهمية هذا الموروث نجد الكثير من الدراسات تناولته بالقراءات و النقد؛ حيث اختلفت نماذج القراءات المسلطة عليه، خاصة في العصور الحديثة إذ حاول اللغويون العرب اقتراح نظرة جديدة إلى اللغة وكيفية دراستها، فكثرت الأبحاث التي تنادي بضرورة التحديث والتطوير في حقل الدراسات اللغوية العربية، وعلت الأصوات التي تنادي بضرورة الإفادة من اللسانيات الحديثة ومناهجها والحقا بركب تطورها.

وقد تعددت الاتجاهات الحديثة في حقل الدراسات اللغوية تبعا لتعدد مناهج الدرس اللغوي الحديث، كل منها يحاول محاورة التفكير اللساني العربي القديم، أملا في اكتشاف ما هو جدير بالاكشاف في هذا الفرع من العلوم الإنسانية، ولكن هذه المحاورة لا نجدها إلا عند قلة قليلة من الباحثين، الذين يتوفرون على إلمام واسع بالتراث، وعلى دراية واسعة بمعطيات البحث اللساني الحديث.

ومن بين المناهج الحديثة التي اعتمدها أولئك الباحثون أداة لسانية علمية لمحاورة التراث اللغوي العربي " المنهج الوصفي " الذي استعان به العديد من الباحثين لإعادة قراءة اللغة، فكثرت بذلك الدراسات اللغوية العربية المستندة إلى هذا المنهج بمختلف اتجاهاته، فكل باحث نجده قد تبني اتجاها وصفيا معينيا لقراءة التراث ، ومن بين هذه الاتجاهات الاتجاه الوصفي الوظيفي الذي اعتمد عليه الكثير من الباحثين في دراسة اللغة ومنهم الباحث تمام حسان ، الذي اختارته دراستنا المعنونة ب" جهود اللسانيين العرب في إعادة وصف اللغة العربية وظيفيا " اللغة العربية معناها و مبنائها لتتمام حسان " -أنموذجا-؛ إذ حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نفق على الجو الثقافي الذي ظهرت فيه محاولات إعادة وصف اللغة العربية في العصر الحديث، وخاصة عند تمام حسان باعتباره حلقة مهمة في اللسانيات العربية الحديثة، نبحت من خلالها عن الجديد الذي جاءت به هذه

الثلة من الدارسين ،فحاولنا الوقوف على الجوانب المضيئة التي وجدت في التراث اللغوي العربي، والمحطات التي انطلقوا منها في إعادة وصفهم للغة العربية، واختيارنا لتمام حسان لكونه قد قدم عملا متكاملًا في وصف اللغة العربية لكونه بذلك محاولين الإجابة عن تساؤل مهم مؤداه :هل ما قدمه تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها يعد إعادة وصف للغة العربية؟ . وهل ما جاء به يمكن أن نعهده محاولة جريئة في إعادة تجديد قواعد اللغة العربية ؟

ومن خلال إجابتنا عن ذلك التساؤل نحاول أن نصل إلى جملة من الأهداف نذكر منها:

- إلقاء الضوء الكاشف على الوصفيين بعامة والعرب خاصة الذين تأثروا بفيرث اللغوي البريطاني، للوقوف على منهجهم في الدرس اللغوي
- تناول عدد من القضايا اللغوية التي تطرقوا لها على ضوء اللسانيات الوصفية ، محاولة لوصف اللغة العربية.
- الوقوف على الجديد الذي جاء به تمام حسان، و محاولة تقويمه وذلك بعقد مقارنة بين التراث اللغوي العربي و ما ينادي به تمام حسان من أفكار لغوية بديلة لما رآه منافيا لطبيعة اللغة العربية في المصنفات اللغوية التراثية.
- محاولة إلقاء الضوء على رؤية تمام حسان للغة العربية، وتحديد الجو الثقافي والمنهجي الذي انطلق منه في دراسة اللغة.
- وهذه الأهداف في جلها تخدم رغبة البحث والاستقصاء وزيادة المردود المعرفي، وفتح باب المناقشة والنقد في مجهودات لسانية حديثة. خاصة أنها جاءت لتجيب عن عدة أسئلة انبثقت من البحث نفسه نذكر منها:
- هل طبق تمام حسان المنهج الوصفي الوظيفي كما جاء عند فيرث على اللغة العربية؟
- ما هي المبادئ التي اعتمد عليها تمام حسان في بناء نموذج اللغوي الجديد؟
- ما فحوى نظريته الجديدة التي نادى بها بديلا لنظرية العامل؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا أن نضع هذه الدراسة في ثلاثة فصول، قدمت لها بتمهيد حاولت فيه أن أقدم الأطر التاريخية والنظرية للسانيات الغربية وأهم المدارس الرائدة التي تأثر بها العرب المحدثون.

أما الفصل الأول الموسوم باللسانيات الوصفية عند العرب المحدثين فقد تحدثنا فيه عن اللسانيات الوصفية في العالم العربي، وأهم المناهج الحاضرة في إعادة وصف اللغة العربية من منهج وصفي شكلي، ومنهج وصفي سياقي، بعد أن عرّجنا في هذا الفصل على المرحلة التمهيدية للسانيات، المتمثلة في حملات النقد الموجهة إلى النحو العربي التي حدثت بعد احتكاك العرب بالغرب.

ثم أشرنا في المبحث الثاني إلى جهود بعض اللسانيين الوصفيين في إعادة قراءتهم للتراث اللغوي، وتم اختيارنا لهؤلاء الباحثين كونهم وظفوا المنهج الوصفي الوظيفي في أعمالهم؛ فوقفنا عند جهد إبراهيم أنيس، عبد الرحمن أيوب وكمال بشر.

أما الفصل الثاني الموسوم بمسيرة تمام حسان اللغوية - قراءة في جهود تمام حسان اللغوية- فقد خصص لنموذج الدراسة؛ هو تمام حسان، فقسّمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول عنوانه بتمام حسان سيرة ذاتية و مسيرة علمية؛ حيث عرّفنا بالباحث وأهم محطاته اللغوية، وجهوده الفكرية وحاولنا التعرض إلى أهم ما جاء في مصنفاته الرائدة. ثم تعرضنا في المبحث الثاني لمشروعه اللغوي " اللغة العربية معناها و مبناها " باعتباره محطة بارزة في الساحة اللغوية العربية لتقديمه وصفا شاملا لقواعد اللغة العربية، و أنهينا هذا الفصل بمبحث سميناه نظرية تضافر القرائن عند تمام حسان بديلا لنظرية العامل؛ قدمنا فيه لأهم مبادئ هذه النظرية، ثم حاولنا التنقيب عنها في كتب التراث وخاصة عند الجرجاني، لنبين قيمتها اللغوية في فهم معنى النصوص.

أما الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان: " محاولة تمام حسان في إعادة وصف اللغة العربية " فقد قسّمناه إلى ثلاثة مباحث: وهي: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي (التركيب)، بحسب المستويات التي حددها تمام حسان، فوقفنا عند كل محطة بارزة رأينا أنها تمثل الجديد الذي جاء به تمام حسان، إذ حاولنا أن نقد مقارنة ضمنية بين ما جاء به الأولون في وصفهم لأنظمة اللغة العربية و ما قدمه تمام حسان.

وأنهينا الدراسة بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال عرضنا لهذا البحث المتضمن لتجربة تمام حسان في وصفه للغة العربية، و ذيل البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت في هذه الدراسة.

أما بالنسبة إلى المنهج المتبع فقد اعتمدنا المنهج الوصفي في هذه الدراسة كما استعنا بالمنهج التاريخي عند تأريخنا للدرس اللغوي العربي وكذا عند الوقوف عند المحطات البارزة في الدرس اللغوي العربي ، أما المنهج الوصفي فقد اعتمدنا عليه في قراءتنا لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها، و قوفا عند أهم النقاط الأساسية التي جاء بها الكتاب والوقوف على الجانب الابدستيمولوجي للعمل اللساني.

وقد استعنا في هذه الدراسة بمجموعة من الدراسات والكتب، نذكر منها: كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، وكتاب نشأة الدرس اللساني العربي الحديث لفاطمة الهاشمي بكوش، وكتاب أسرار اللغة العربية لإبراهيم أنيس بالإضافة إلى مجموعة من الكتب التراثية نذكر منها: الكتاب لسيبويه، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ، بالإضافة إلى بعض الدراسات الأكاديمية ، كرسالة الدكتوراه لدليلة مزوز بعنوان: الأحكام النحوية بين علماء النحو و الدلالة.

هذا وأرجو أن يكون ما قدمناه في هذا العمل قد حقق بعض ما قصدناه ، ونحمد الله حمدا كثيرا لأنه أمدنا بطاقة لإكمال هذه الدراسة، والله نسأل أن يوفقنا لخدمة لغتنا العربية التي هي لغة القرآن الكريم..... إنه وليّ ذلك والقادر عليه...فهو حسبنا ونعم الوكيل.

وأشير في النهاية بكل امتنان إلى أن البحث يدين أساسا إلى عناية أستاذي المشرف: "بومعزة رابح" الذي صبر على هذه الدراسة حتى استوت ،فله جزيل الشكر ، فإن كان ثمة زلل فيها أو خطأ في العمل فإنما مرجعه إلى الباحثة.